***سيطرة الحاجب المنصور بن ابى عامر على السلطة*:-**

توفي المستنصر سنة (٣٦٦هـ -٩٧٦هـ) وتولى ابنه هشام المؤيد الخلافة بعهد منه وكان عمره (١١)سنه على الرغم من وجود اخوة المستنصر المؤهلين لمثل هذا المنصب وتوليه هشام سقطة كبيرة اقترفها الحكم بحق ولده والدولة معاً اذ فرضت وصاية ابن ابي عامر الاجبارية على (هشام المؤيد) ولم يكن له من سلطات الخلافة الا الاسم فقط اذ حكمت اسرة ابي عامر باسم الاسرة الاموية الى ان انتهت تلك الاسرة بمقتل عبد الرحمن بن ابي عامر (شنجول) وكان نهايتها ايذاناً. بنهاية الخلافة الاموية عام (٤٢٢هـ) عندما اعلن اهل قرطبة الغاء الخلافة والحكم الاموي

حرصت الشخصيات البارزة في الدولة مثل شخصية (جعفربن عثمان المصحفي)كبير الوزراء (ومحمد بن ابي عامر) ناظر الخاص (وغالب بن عبد الرحمن) قائد قوات الجبهة الشمالية على تنفيذ وصية المستنصر بتولية هشام ضماناً لمراكزهم في الدولة في حين نجد ان اتجاهاً آخر تزعمه الصقالبة كفائق وجؤذر سعى لتولية احد ابناء البيت الاموي وهو الامير(المغيرة بن عبد الرحمن الناصر) اخو الحكم المستنصر وقد كان المغيرة شخصية بارزة جديرة بمثل هذا المنصب . ولما كان الصقالبة قوة لايستهان بها فقد حرص مجلس الوصاية على اتخاذ اجراء سريع تم خلاله قتل الامير (المغيرة) خوفاً من قيام الصقالبة من الانقلاب على الخليفة الجديد . ولم يجد الصقالبة بداً من الرضوخ للامر لكنهم في الحقيقة كانوا يعدون لمؤامرة تعيد هيبتهم في البلاد ومع اكتشاف اول خيوطها سعى المصحفي الى التحوط من غدرهم فوضع زعمائهم تحت المراقبة وسرح اعداد كبيرة منهم من الخدمة والحقهم بخدمة (محمد بن ابي عامر) . وامر الباقين بالدخول والخروج من باب العامة . كما تم تصفية العناصر الخطرة منهم ونفي آخرين . كان القضاء على الصقالبة اول خطوة من خطوات ابن ابي عامر باتجاه السيطرة على السلطة فهو الذي اغرى المصحفي بنكبتهم ومن ثم الحقهم بحاشيته كما استمال له بني برزال الذين كانوا ضمن حاشية المصحفي هكذا جرد ابن ابي عامر المصحفي من انصاره وحماته . خاصة وان المصحفي اثقلته مطالب هذه الفرق المالية مع ماعُرف عنه من بخل في حين بسط ابن ابي عامر عليها الانفاق فأصبح هؤلاء انصاراً مخلصين لتحقيق اهدافه بعد ذلك حاول ابن ابي عامر السيطرة على القوة العسكرية والتحالف مع القوى الاخرى التي لايستطيع بسط نفوذه عليها . فقاد ثلاث حملات في فترة وجيزه اولها

سنة (٣٦٦هـ) ضد القشتاليين وقد برز دور ابن ابي عامر في تجميع القوات واعدادها التي تولى قيادتها بنفسه محققاً انتصارت كبيرة على قشتالة .

اما الحملة الثانية فكانت بلاشتراك مع غالب بن عبد الرحمن قائد الجبهة الشمالية ولقد حققت هذه الحملة ايضاً اهدافها بنجاح . كما استطاع ابن ابي عامر من كسب القائد غالب الى جانبه بعد ان عانى الاخير من لوم الصحفي له واتهامه بالتخاذل عند هجوم الاسبان على قلعة رباح . هكذا اصبح عالب حليفاً ونصيراً قوياً لابن ابي عامر في صراعه مع المصحفي . كانت نتيجة هذا التحالف والانتصارات قد ظهرت سريعاً وبتحريض من ابن ابي عامر عندما اقنع الخليفة بتنحية المصحفي من منصبه في حكم (قرطبة) وتوليتها لاحد اقرباء ابن ابي عامر . وعندما شعرالمصحفي بالمصير الذي ينتظره حاول كسب القائد غالب عن طريق المصاهرة الا ان ابن ابي عامر افسد عليه خطته وسارع هو لخطبة ابنة القائد غالب .

في الحملة الثالثة التي قادها ابن ابي عامر وصهره غالب استطاعت قواته من احتلال مدينة (شلمنقة) والمناطق المحيطة بها . وقد قام الخليفة بتكريم ابن ابي عامر وتلقيبه بذي الوزارتين ورفعت مرتبته الى مرتبة صاحب الحجابة التي كان يتولاها المصحفي مع القائد غالب ثم عزل المصحفي بعد ذلك وتم القبض عليه وعلى ابنه وعدد من اقربائه واودعوا السجن . هكذا اصبح ابن ابي عامر الرجل الاول في الدولة لكنه في الوقت نفسه اتخذ اجراءات متتالية لتحصين نفسه ذلك انه كان يعلم ان الرجال الذين ساعدوه في الوصول الى تلك المكانة قد ينقلبون عليه في يوم من الايام لانهم انما ساعدوه نكاية بالمصحفي لاايماناً بأفضليته . وقد سعى ابن ابي عامر الى زيادة الدعائم التي يعتمد عليها والذين عرفوا بالصنائع العامريين ، هذا ماجعله يستأثر بالسلطان المطلق للاندلس ، ولم يبق امام ابن ابي عامر الا القائد غالب (صهره) الذي كان يتمتع بنفوذ يضاهي نفوذ ابن ابي عامر (المنصور) لذلك قام بأستدعاء شخص منافس له هو جعفر بن علي بن حمدون المعروف بـ (ابن الاندلسي) وجعله اميراً على جيش الحضرة ، مما اثار القائد (غالب) بعد ان فطن الى مايدبره العامري الذي دعاه لحضور وليمة على شرفه ليستوضح منه الامور ودار حديث بين الاثنين انتهى بان سل غالب سيفه في وجه العامري الذي نجى بأعجوبة ولحق بالعاصمة قرطبة ليجهز جيشاً ويهاجم غالب في مقره ، وكادت الدائرة تدور على جيش العامري لولا موت غالب بالسكته القلبية في ميدان المعركة مما ادى الى اختلال التوازن في جيشه وانتصار جيش ابن ابي عامر ، هكذا تخلص ابن ابي عامر من كل منافسيه في البلاد فاتخذ لقباً خلافياً هو المنصور ودعي له على المنابر

، بعد ذلك دبر ابن ابي عامر حيله قتل فيها جعفر بن حمود ليتخلص من آخر الرجال الذين اخلصوا له في صراعه على السلطة .

سياسة المنصور ابن ابي عامر:-

١- السياسة الخارجية

(ا) سياسته مع الاسبان

تميزت سياسة المنصور مع الاسبان بطابع جهادي متميز ، فقد قادمايقارب (٥٠) حملة واحدة في الصيف واُ خرى في الشتاء من كل عام كانت جميعها تحت قيادته المباشرة . اما الطابع العام لسياسته الجهادية هي :-

١- اخذه لزمام المبادرة والهجوم على اعدائه اذ اضطر الاسبان الى تغيير استراتيجيتهم العسكرية من الهجوم والدفاع .

٢- وصل المنصور في عملياته العسكرية الى اراضي لم تطرقها الجيوش العربية من قبل وكان من نتائج ذلك ان شُلت حركة الاسبان بالتوغل او حتى التقرب من الحدود الدولية للدولة العربية .

اعتمد المنصور على قوات اعدت حسب النظام الذي اقره على بنية القوات العسكرية. فقد كانت الفرق العسكرية قبله تنضوي تحت لواء زعماء القبائل وتضم تلك الفرق ابناء وموالي كل قبيلة . ولكن منذ عصر الناصر لم يعد للعصبية القبلية مكانة وسط تنظيمات الجيش واكمل ابن ابي عامر مهمة الناصر اذ وزع الجند في مجموعات ضمن سرايا وفرق بغض النظر عن كل جندي وامر عليهم قائد يختاره . وكان تنظيم الجيش اشبه بالقوات النظامية في العصر الحديث . مع تقرير رواتب شهرية لكل منتظم في هذه القوات وحسب موقعة ومكانته وكان من نتائج هذا التنظيم سهولة تجميع القوات في وقت سريع ، اصبح الجند اكثر التزاماً وانضباطاً من ذي قبل كما ان نتائج هذا التنظيم تظهر جلية في الحملات التي قادها المنصور ومنها حملة عام (٣٧١هـ) ضد مملكة ليون التي ادت الى نتائج سلبية اصابت دولة ليون في الصميم وجعلتها تخضع خضوعاً تاماً للدولة الاسلامية في الاندلس وتدفع الجزية اما الغزوة (٢٣) في سنة (٣٧٤هـ) فقد كان هدفها قاعدة امارة قطلونية والتي تم اجتياحها بنجاح كبير كما قاد

المنصور حملات اخرى كان لها ابعد الاثر في اخضاع الممالك الاسبانية لمطالب وشروط المنصور .وفي سنة (٣٧٦هـ) عاود المنصور الهجوم على مملكة ليون لأخلالهافي بعض الشروط المفروضة عليها واستهدف الهجوم مدناً عديدة منها العاصمة ليون ومدينة قلمرية التي تم احتلالها وتخريبها . وفي سنة (٣٧٨) احتل سمورة وليون وانهى كيان هذه المملكة ثم استعاد ملكها مركزه بعد سنتين وبعد ان وادع المنصور ووافق على تنفيذ جميع الشروط المفروضة على مملكته .

اما الغزوة الثامنة والاربعون في سنة (٣٨٧هـ) فهي حملة ذات هدفين : الاول ان جليقية كانت تشكل خط الدفاع لقوات ليون المنهزمة . والثاني ان جليقية كانت تضم مدينة من اشهر المدن الاسبانية واعلاها مكانة من الناحية الدينية ، تلك هي مدينة شنت ياقب . وقد استعد المنصور استعداداً عالياً فقسم قواته الى قسمين قوة الفرسان تحت قيادته ، والقسم الاخر ضم المشاة ومايلحق بهم حمل بحراً والتقت القوتان عند نهر الدويرة وبدات القوات الاندلسية زحفها فب اراضي جيليقية مطهرة مناطق ومدناً عديدة في الطريق الى الهدف شنت ياقب التي اشرفت عليها فالفتها خالية من القوات والسكان ، فدخلتها وغنمت ماتهيأ من غنائم المدينة وهدت جميع تحصيناتها ومبانيها باستثناء ضريح القديس يعقوب الذي تنسب اليه المدينة فقد امر المنصور باعماره ورعايته وفي طريق العودة استسلمت له عدة من مشهورة منها مدينة كرونيا ومدينة لاميجو .

سياسة المنصور تجاه المغرب

في عهد الحكم تم توسيع دائرة نفوذ الاندلس في المغرب مما بات يهدد نفوذ الفاطميين في المغرب لذلك حاولوا رد اعتبارهم واستعادة المناطق التي خسروها سابقاً فقاموا بمجموعة من العمليات العسكرية كان من نتائجها الانتصار على قبائل زناتة حلفاء الامويين واتساع دائرة نفوذ الفاطميين وحلفائهم لذلك قرر المنصور العمل بسرعة على استعادة مافقده في هذه البلاد ارسل المنصور قائده (جعفر بن علي المعروف بالاندلسي) على راس حملة استطاعت مهاجمة الصنهاجيين حلفاء الفاطميين واجبارهم على الارتداد عن المناطق الساحلية التي حاول الامويون دائماً حمايتها باعتبارها حزام امان للاندلس . الا ان الصنهاجيين بقيادة زعيمهم (بلكين بن زيري) هاجموا مناطق اخرى واستطاعوا السيطرة على المغرب ، واستطاع الامويون استعادة نفوذهم من جديد واستطاع حليفهم (زيري بن عطية) زعيم

الزناتيين ان يقطع الطريق على الصنهاجيين حلفاء الفاطميين عندما حاولوا استعادة نفوذهم في المغرب مرة اخرى . غير ان الفاطميين ارسلوا الى المغرب (الحسن بن كنون زعيم الادارسة) لتعكير الامن على حكومة قرطبة في هذه المناطق ولكن قوات المنصور بن ابي عامر تمكنت من اجهاض هجومه واسره واقتياده الى قرطبة ثم قتله فيما بعد بتدبير من المنصور .

تولى المغرب الوزير الحسن بن احمد بن عبد الودود السلمي واصبح زيري بن عطية – قائد الامويين – بمثابة المستشار في اموره وبعد وفاة الحسن انتقلت ولاية المغرب الى زيري الذي عرف بضبط الامور والسيطرة عليها وعلى الرغم من ان المنصور كافأ زيري على خدمته ومنحه لقب (وزير)غير ان زيري لم يقبل هذا اللقب لانه راى انه لايتناسب والخدمات التي قدمها للامويين في المغرب كان يطمح الى لقب الامارة . وكان للتطورات المفاجئة بين المنصور وزيري اثر في قلب العلاقات الودية بين الطرفين ودفع زعيم زناتة الى التمرد اوماقيل عن استخفافه بلقب الوزارة الذي منحته اياه حكومة قرطبة واذي وجد فيه تقليلاً من وزنه السياسي بوصفه اميراً ينتمي الى قبيلة كبيرة ، غير ان هذه المصادمة ان صح وقوعها بين المنصور وزيري ، لاتصلح ان تكون مقدمة ثورة شاملة ، تستقطب البربر لولم تكن لها ابعاد سياسية ورواسب تأريخية معروفة ، حدت به الى التمرد ضد الوصاية العامرية ، فقد شعر زيري بقوته من خلال القاعدة الشعبية التي التفت حوله من سواد قبائل البربر ، حيث استهواها دائماً الاستقلال بشؤونها السياسية والاقتصادية . هكذا اصبح زيري في نظر اتباعه قائد شعبي تجسد فيه امالهم وبدأ زيري بتنفيذ ماعزم عليه فأكتفى بذكر اسم الخليفة هشام وسقط اسم المنصور من الخطبة وطرد عماله من المغرب . واستطاع ان يحرز بعض الانتصارات على قوات المنصور الا ان القوات الاندلسية استطاعت استرداد المناطق التي سيطر عليها البربر وطاردت فلولهم الى العمق الصحراوي . وفي سنة (٣٩١هـ) عاد زيري الى ولائه وكاتب المنصور فعفا عنه وحسنت سيرته حتى وافاه الاجل في نفس السنة فخلفه ابنه الذي اعلن سياسة الولاء للمنصور وابنه من بعده .

العلاقات الدبلوماسية:-

ظلت العلاقات الودية بين الاندلس والامبراطورية البيزنطية وقد عاصر المنصور الامبراطور بازيل الذي يعد عصره الطويل من ازهى عصور هذه الامبراطورية ، كما استمرت العلاقة الودية

بين الاندلس والمانيا في عهد الامبراطور اوتو الثالث ، اما العلاقات مع امراء اسبانيا الشمالية فلم

تكن ترقى الى مستوى العلاقة الودية الا في ظروف عجزت معها هذه الممالك عن مقاومة جيوش المنصور . فقد تزوج الاخير من ابنة شانجة ملك نبرة العلاقات مع قشتالة فلم تكن علاقات ودية فقد لقي اثنين من ملوكها الذين عاصروا المنصور الكثير من الهزائم على يديه .

السياسة الداخلية

(أ) علاقة المنصور مع الخليفة هشام المؤيد :-

اذ استمر الحجر على الخليفة ومنعت تحركاته الابمعرفة المنصور وهي سياسة دأب عليها ابناء المنصور من بعده اذ ظل هشام رمزاً للخليفة تمارس بأسمه السلطات لاكتساب الشرعية . المنصور قد اختار مناسبات معينة لظهور الخليفة بموكبه المعروف من اجل الرد على الاشاعات التي كانت تبث عن سجن الخليفة بقصره وعدم السماح له بالظهور وسط العامة .

(ب) العلاقة مع الفقهاء :

حاول المنصور كسب رضى الفقهاء ربما كتعويض عن اغتصابه للسلطة ام نتيجة لثقافته الدينية على اشهر فقهاء عصره . مع ذلك فقد ظلت مسألة استبداده بالامور محوراً للخلاف بينه وبينهم غير ان ذلك الخلاف لم يصل الى حد القطيعة والصدام خاصة وان المنصور كان حريصاً على ان يضيف لاعماله نوعاً من الشرعية المدعمة بفتوى الفقهاء الذين على الرغم من عدم اقتناع بعضهم بأعماله الانهم سايروه . ولكن عصره لم يخل من فقهاء حاولوا التصدي له كعبد الملك بن منذر البلوطي الذي دعا الى تولية عبد الرحمن بن عبيد الله الناصر وقد قام المنصور باعدامه الان ذلك لم يثر ردود فعل سلبية لانه كان معتزلياً ولان اهل الاندلس كانوا يبغضون المعتزلة . ومن المناوئين لسياسة المنصور محمد بن اسحاق بن ابي

عكرمة وقاضي الفقهاء محمد بن يبقى بن زرب . ولكن مهما يكن من امر فأن علاقة المنصور مع فقهاء عصره هي علاقة ود وانسجام حيث كان يقوم هناك توا زن في العلاقة بين الدولة ورجال الدين على العكس مما كان معروف من قبل فأما ان تسود كلمة الفقهاء كما حصل في عهد هشام الاول وعبد الرحمن الثاني والحكم المستنصر او ان يعيشوا في الظل كما في عهود الاقوياء من الحكام . هكذا فأن العامري كان الحاكم الوحيد الذي بنى علاقات متكافئة بينه وبين الفقهاء فلم يحاول تحجيم نفوذهم رغم سلطته من جهة ولم يفتح لهم اي نافذه للتدخل في الحكم من جهة اخرى .

الاصلاحات العسكرية

(ج) اعاد المنصور تنظيم القوات المسلحة تنظيماً كفل له نتائج ايجابية داخلياً وخارجياً وتنظيماته تقوم على :

١- جعل القوات المسلحة وحدة نظامية متماسكة خاضعة لقيادة عليا .

٢- الغاء النظام القائم على اساس قبلي او عنصري .

٣- اصبح الجيش يتكون من فرق عديدة على راس كل فر قة قائد اعلى ينوب عنه عدد من القادة .

٤- لكل منتسب راتب شهري وتتكون القوات في عهد المنصور من صنفين من المشاة والفرسان .

(د) بناء مدينة الزاهرة :-

اقتفى المنصور خطى الخليفة الناصر عندما شرع ببناء مدينة الزاهرة سنة (٣٧٠هـ - ٩٧٩م) كان دافعه لبناء هذه المدينة هو تمجيد عصره بمنشآت مميزة دلالة على العزة والسلطان الواسع وهناك سبب آخر يذكره لنا ابن عذاري من ان المنصور اراد من بناء المدينة تأمين نفسه والابتعاد عن حساده واعدائه فأنتقل اليها المنصور مع حاشيته وخاصتة من الحرس ونقل اليها خزينة الدولة ودواوينها واقطع ماحولها لكبار رجالات الدولة فأبتنوا القصور وعمروا المتنزهات . الا ان الزاهرة لم تعمر طويلاً فقد كان عمرها رهيناً بعمر الدولة العامرية . فقد خُربت المدينة عقب مقتل عبد الرحمن بن النصور العامري .

تقييم لشخصية وعصر الحاجب المنصور